الجزيرة تحمل إليه بشرا فيصبهم في شارع المنيل، حيث يتضاعفون بسكان الشوارع الصغيرة المتفرعة منه على الجانبين. ثم من شارع المنيل إلى قصر العيني. أمشي مع الناس، أعي أشياء أفعلها بلا وعي، حين نصل إلى مجلس الأمة أنتبه أنني كنت أقصد المكان رغم أنني لم أكن أعرف أنني أقصده، عند المجلس توقف الناس فتوقفت.

أحاول أن أستعيد ما حدث وأن أستقرئ مشاعر الآخرين باستقراء مشاعري، ولكن قراءة مشاعري تستوجب أن أتذكر اللحظة بتفاصيلها. أكتبها الآن بعد خمسة وثلاثين عاما، هل يمكن استعادتها بعد خمسة وثلاثين عاما؟ أذكر الظلام. أذكر شارعاً يموج بالبشر ويتحرك بسرعة كنهر في فيضان. أذكر صفارات إنذار متتابعة ونحن نعبر البحر الصغير إلى شارع قصر العيني. أذكر طفلة تبكي، وأذكر وجوها غاضبة، ووجوها تائهة، ووجوها خائفة، ووجوها تقول أشياء أكثر مما أعرفه أو أحيط به. أذكر وجوها صخرية منحوتة كالتماثيل، ووجوها يتشكل التعبير على ملامحها ثم يتبدل كقطعة صلصال في اليدين. يفتقد الوصف الدقة، لم أعد أذكر ملامح تلك الوجوه الكثيرة التي رأيتها وأحاطت بي. أحيانا يبدو لي أن ما أتذكره ملون بأفكاري ومشاعري اللاحقة كأن لم يبق من المشهد سوى صفحة انسكبت عليها أحبار من محبرة تلو محبرة، وأحيانا أستعيد مشهدا انحلت تفاصيله إلى موج له صوت على خلفية من ظلام. ثم أعود أذكر أفعالا محددة، أذكر أن حشدا عسكرَ عند المجلس، وأن حشدا واصلَ طريقه، واصلت معه. سرنا إلى ميدان التحرير ومن التحرير إلى شارع رمسيس فالخليفة المأمون فمنزل عبدالناصر. قضينا الليلة في منشية البكري عند بيته. نهتف حينا، ونصمت حينا، ويتحدث بعضنا مع البعض، ويتحدث الواحد منا مع نفسه بصمت أو بصوت حتى لاح الفجر، ثم طلع النهار فعدنا إلى المجلس وعسكرنا عنده حتى اتخذ عبد الناصر قراره بالرجوع عن التنحي. هللنا وعدنا إلى بيوتنا. كان ذلك عصر اليوم التالي. لم تكن زوجتي والبنات في المنزل. قلت: ذهبت إلى أهلها. استلقيت على